التحولات العمرانية: ضمان لاستمرارية المدينة

بشارة سمير

طالب دكتوراه تخصص مدن ومحيط– معهد تسيير التقنيات الحضرية جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي. الجزائر.

مخبر المصادر الطبيعية وتهيئة الأوساط الحساسة(LRNAMS) أم البواقي.

أ.د. عداد محمد الشريف

مخبر المصادر الطبيعية وتهيئة الأوساط الحساسة(LRNAMS) أم البواقي.

مقدمة:

إن المدينة وعلى مر العصور تنشأ، وتنمو وتنحل، وقد تندثر وتعود في شكل جديد. يحدث كل هذا نتيجة لمجموعة من العوامل أهمها التي تتعلق بالموقع والموضع العوامل الاقتصادية والاجتماعية ضف إلى ذلك العوامل السياسية. ويكون كل هذا من خلال التحولات التي تحدث في مراحل وجودها، تفرضها التطورات الحاصلة وخصوصية كل عصر، وذلك لكي تستمر وتبقى تؤدي وظائفها ودورها. هذه التحولات تعمل على تحويل المدينة من صورة إلى صورة أخرى، من خلال ظهور أشكال ومشاهد عمرانية جديدة من جهة ووظائف سوسيو اقتصادية من جهة أخرى،

1–ما معنى التحولات العمرانية؟ وما هي مسبباتها؟

▪حسب قاموس **LAROUSSE2008**: إن التحول في مفهومه البسيط يعني التغير أو التبديل.

▪هذه التحولات تعمل على تحويل المدينة من صورة إلى صورة أخرى، من خلال ظهور أشكال ومشاهد عمرانية جديدة من جهة ووظائف سوسيو اقتصادية من جهة أخرى،

▪تعرف التحولات العمرانية على أنها "ظاهرة عمرانية لها مؤثرات محددة لهيكل المدينة وعمرانها وتنظيمها ومظهرها العمراني، هندستها وكذلك على نوعية الحياة لسكانها.اضافة الى تحول الوظائف الحضرية".

▪يرافق هذا التحول أشكال ووظائف حضرية جديدة.

هناك عدة عوامل دراسة تناولت موضوع التحولات العمرانية أهمها وأشهرها:

–دراسة(**1990**) **Antoniades** في كتابه

Poetic of Architecture

موضوع التحولات العمرانية وعرفها على أنها "وسيلة يتغير من خلالها شكل المدينة من صورة الى صورة أخرى ليصل إلى مرحلته النهائية". هذا لتتلائم مع متطلبات كل مرحلة تاريخية.

–دراسة(**1975**) **Alan Colquhoun** : أن المدينة كتلة واحدة ومستمرة يتم التحول فيها عن طريق تدخلات بمقاييس مختلفة صنفها إلى صنفين:

الصنف الأول: تحولات في المدينة بسبب تدخلات بمقاييس صغيرة وعلى مستوى الجزء، مثل إدخال بناية واحدة في مكان ضمن نسيج المدينة الموجود.

الصنف الثاني: تحولات في المدينة بسبب تدخلات أكثر تعقيدا متمثلة في إدخال وحدات عمرانية (أكثر من بناية) تمتد داخل نسيج المدينة الأصلي.

–يربط **Aldo Rossi (1982)** تحولات المدينة بالبعد الزمني، إذ يكون هناك أكثر من تحول في زمن محدد، وقد تكون هذه التحولات متتالية. هذه التحولات تكون على مستوى الوظائف التي تؤدي إلى تحولات فيزيائية وفق لمتطلباتها.

–توصل **Hillier Bill(1996)** في دراسته للتحولات العمرانية أنها نظام مورفولوجي وظيفي يمثل نظام من الوسائل والأهداف.

من خلال هذه الدراسات والتعريفات نستنتج ما يلي:

-التحولات العمرانية تحدث في المدينة أو جزء من أجزائها.

-التحولات العمرانية تكون على النسيج القديم أو بظهور أشكال عمرانية جديدة.

-هناك عوامل تؤثر في عملية التحول في المدينة تتمثل في:

- عوامل داخلية: الوظائف، المورفولوجية، المشهد العمرانية.
- عوامل خارجية: الموقع، الموضع، المحيط.....

-هذه التحولات تكون خلال فترات متعاقبة أو في نفس الفترة (متزامنة).

-التحولات العمرانية تكون وظيفية أو مورفولوجية أو مجالية تؤثر وتتأثر بين بعضها البعض.

-تحدث التحولات للتكيف والتلاؤم مع التطورات الحاصلة، ولتلبية المتطلبات الجديدة لكل فترة تاريخية.

-التحولات العمرانية تحدث بفعل العوامل الاقتصادية، الاجتماعية، التاريخية، السياسية...

-التحولات العمرانية تكون إما عفوية من طرف السكان أو مخططة من طرف السلطات.

2-أنواع التحولات العمرانية:

يصبح التحول ضرورة واستجابة عندما تصبح المدينة غير قادرة على ملائمة التطورات التي تفرضها المتغيرات المحيطة بها، بغض النظر على إيجابية أو سلبية هذا التحول، وتتمثل التحولات العمرانية في:

2-1-التحولات المورفولجية:

ينجر عن هذا التحول ما يلي:

أ-تبديلات في الموفولوجية العمرانية أو جزء منها الذي يمس تنظيمها من خلال:

- شبكة الطرقات (Trame viaire)
- شكل الجزيرات(les ilots)
- المجالات الداخلية
- المجالات الخارجية.

ب-تغيرات على الإطار المبني وتتمثل في تحول:

- شكل المبنى.
- حجم المبنى.
- الارتفاعات.
- الواجهات.
- مواد البناء.

2-2-التحولات المجالية:

هذا النوع من التحولات يكون بشكل عفوي أو مخطط من طرف السلطات وأهم التحولات المجالية هي:

أ-تحول داخل النسيج الموجود أصلا (هدم، إعادة البناء، توسيع وتعديل البناء...) وهنا يكون بناء المدينة فوق نفسها ويسمى بالتجديد الحضري (**renouvellement urbain**).

ب-تحول يكون خارج النسيج التقليدي يتم فيه استهلاك مجالات جديدة، ويكون إما:

-بجوار النسيج القديم أي لا يوجد انقطاع في النسيج العمراني بين القديم والجديد.

-انقطاعا في النسيج العمراني بين القديم والجديد وهذا ما نسميه بتنقل المواضع.

2-3-التحولات الوظيفية: تتمثل في:

- التغيرات في المهام المنجزة في الوسط الحضري من سكن، حركة المرور، نشاطات أولية وثانوية...
- ظهور وظائف جديدة بالمقابل اندثار وظائف أخرى.
- تغير العلاقة بين الوظائف في الوسط العمراني.
- استحواذ بعض الوظائف على حساب وظائف أخرى (التخصص).

2-4-التحولات الاجتماعية:

هذا التحول يكون أساسا في تغير التركيبة الاجتماعية من حيث تغير في تنظيم المجتمع وفي نمط العيش لعدة عوامل أهمها:

-النزوح الريفي.

-تحولات داخل الجيل أو ما بين الأجيال وهي مرتبطة أساسا بالوظيفة.

-في بعض الأحيان القرارات السياسية.

-النمو الديموغرافي.

2-5-التحولات الاقتصادية:

تبرز التحولات الاقتصادية في اتجاهين

- تحول في النظام الاقتصادي.
- تحول في الأنشطة الاقتصادية.

هذا النوع من التحول له تأثيرات وبصورة مباشرة على المدينة من خلال الاستقطاب زيادة في أحجام المدن وله تأثير من الناحية الاجتماعية.

ملاحظة:

-يمكن جمع التحولات الاقتصادية والاجتماعية في خانة واحدة نسميها التحولات السوسيوإقتصادية نظرا للعلاقة المرتبطة بينهما، فهما يتأثران ببعضهما البعض بدرجة كبيرة، فالتحول الاقتصادي يعني تحول اجتماعي فيما بعد والعكس صحيح.

-بصورة عامة إن التحولات العمرانية مرتبطة فيما بينها يمكن أن تكون

- منفردة
- مجتمعة في نفس الوقت
- حدوث تحول نتيجة لتحول آخر.

3-التحولات العمرانية عبر التاريخ:

تعتبر المدينة ظاهرة قديمة جدا لذا من الصعب جدا من الناحية التاريخية تحديد سنة ظهورها، وعموما فإن المؤرخون ربطوا نشأتها عند تحول الإنسان من مرحلة الصيد إلى مرحلة الزراعة، كون الزراعة تتطلب الاستقرار، كما أن التطور في الصناعات اليدوية البدائية زاد في كمية الإنتاج الزراعي، وبالتالي أصبح كافي، الأمر الذي أدى إلى السكان للتحول إلى أنشطة أخرى أبرزها التجارة، ومن هنا بدأت قصة المدينة.

مرت المدينة بتحولات هامة عبر التاريخ بحسب **Christian de Portzamparc** بثلاث مراحل هي [1] :

-**المرحلة الأولى**: مدينة العصر الأول وتشمل:

المدن القديمة: تضم المدينة العراقية، المدينة المصرية، مدينة حوض السند، المدينة الصينية، المدينة الأمريكية.

المدن الكلاسيكية: تضم المدينة الاغريقية والمدينة الرومانية.

مدن القرون الوسطى: نجد فيها المدينة الأوروبية والمدينة العربية الاسلامية.

مدن عصر النهضة: المدينة التجارية ومدن الباروك.

-**المرحلة الثانية**: مدينة العصر الثاني وتشمل المدينة الصناعية والمدينة الحديثة

-**المرحلة الثالثة**: مدينة العصر الثالث وهي المدينة المعاصرة في العالم المتقدم والنامي.

3-1-خصائص مدن العصر الأول:

-كانت تراعي المقياس الإنساني في التعمير.

-الاهتمام بالمظهر الجمالي.

-مبنية لأغراض دفاعية.

-العامل الديني يبرز بشكل واضح، ويتحكم بدرجة كبيرة في عملية التخطيط العمراني.

-في مجملها كانت صغيرة الحجم.

-المدينة وحدة متراصة محاطة بالأسوار.

-تتميز بالاستمرارية في المجال العمراني.

3-2-مدن العصر الثاني وخصائها

3-2-1-المدينة الصناعية: الغاية تبرر الوسيلة

إن الثورة الصناعية هي نقطة التحول من مدينة العصر الأول إلى مدينة العصر الثاني، لأن وما صحبها من تطورات اقتصادية، ثقافية، اجتماعية، سياسية، فكرية كما لها أثر كبير وبصورة مباشرة على المدينة.

فالمدينة القديمة المحاطة بالأسوار أصبحت غير قادرة على استيعاب الأنشطة الجديدة (الصناعة)، هذا الأمر دفع إلى ظهور الضواحي الصناعية خارج المدينة الأم، وهكذا خرجت المدينة من أسوارها ومع ظهور السكة الحديدية فإنها عرفت ديناميكية مجالية كبيرة وكانت رحلة يومية من السكن إلى المصنع، ومع زيادة وارتفاع وتيرة التصنيع وارتفاع معدلات النزوح الريفي استدعى الأمر البناء حول الضواحي الصناعية (المصانع)، وهكذا أصبحت هذه الضواحي تجمع الوظيفة السكنية والصناعية.

أما المدينة القديمة فقد عرفت تدهورا كبيرا بسبب عمليات الهدم وتقسيم المباني الضخمة وهجرة السكان نحو الضواحي للعمل والبناء فوق الساحات والحدائق العامة دون مراعاة الجانب الجمالي.

وفي ظل زيادة البناء حول المصانع وهجرة السكان من المدينة القديمة فإنه قد خلق نوع من الفوضى في المدينة، كل هذا أنتج لنا نسيج عمراني يتميز بما يلي:

-ظهور تجهيزات جديدة (المصانع، المخازن.)

-تدهور المحيط العمراني.

-ظهور الأمراض والأوبئة.

-مدينة مفككة مورفولوجيا ووظيفيا.

-ظهور الفوارق الطبقية (حي الأغنياء، حي الفقراء، حي العمال...).

الشكل 01: المظهر العام للمدينة الصناعية في أوروبا

www.academie-en-ligne.fr

في هذه الفترة ظهر مصطلح العمران ومن ثم أصبح علم وذلك من أجل اقتراح وإعادة التنظيم نتيجة الفوضى التي تعرفها المدينة والتي أصبحت بين مطرقة التطور والتصنيع وسندان الرجوع إلى المدينة التقليدية فظهرت تيارات عمرانية مختلفة كل لها أفكارها تدافع عنها وأهمها:

-التيار التطوري (les progressistes): له مبدأ تهديم كل ما هو قديم لا يؤدي أي وظيفة وبناء الجديد (مبدأ Table rase).

-**التيار الثقافي**(**les culturaliste**) : كان ينادي بالرجوع إلى الماضي وإحياء الأمجاد المعمارية والمعمارية التقليدية.

بالإضافة إلى أنه كانت هناك أعمال بدل النظريات التي كانت أحيانا تطبق وأحيانا أخرى تهمل ومن أشهر الأعمال نجد أعمال (**Haussmann**)لتجديد مركز مدينة باريس الذي أعد مخطط له مخطط التدخل على المجال الحضري للمركز للتكيف مع التحولات بمختلف أنواعها وقد تم التركيز على تحسين الشروط الصحية، حركة المرور، وامتدت هذه الأعمال إلى الأحياء الخارجية من شبكة الطرق، المساحات الخضراء، قنوات الصرف الصحي، الواجهات العمرانية، المساحات الخضراء، التجهيزات وكذا عمليات البناء.

3-2-2-المدينة الحديثة: ما بعد المدينة الصناعية

إن المدينة الحديثة مبنية على تدخل الدولة في الإنتاج العمراني لأن المبادرات الفردية الخاصة محدودة أمام تدخل الدولة التي تثبت القوانين وتنجز الأشغال وفق مخططات.

ظهرت الأحياء السكنية والتجمعات السكنية الكبرى في ضواحي المدينة بعد أزمة السكن بسبب الحربين العالميتين الأول ى والثانية والنزوح الريفي والنمو السكاني الهائل [2].

كل هذا أنتج لنا بما يعرف بالمدينة الحديثة ومن أهم مميزاتها:

-مدينة خاضعة للتنطيق (**zoning**) تستند إلى أربع وظائف هي: السكن، العمل، التنقل، الراحة والترفيه جسدها ميثاق أثينا (1933).

-معامل شغل الأرض منخفض جدا.

-مدينة منظمة ومخططة.

-انقطاع بين المدينة الحديثة والقديمة.

إلا أنه لا تخلو من بعض السلبيات أبرزها:

-التكرار في الإنتاج العمراني.

-مدينة متفككة وظيفيا تعتمد على العمران الوظائفي.

-أهمل فيها الجانب الانساني.

-تجاهلت وأهملت خصائص المدينة القديمة.

-استهلاك غير عقلاني للمجال.

3-3-المدينة المعاصرة: نتاج العصر الأول والثاني

مدينة العصر الثالث هي نتيجة مدينة العصر الأول ومدينة العصر الثاني أبقت على بعض الأشياء وتخلت عن أشياء أخرى، إن مدينة هذا العصر تأثرت وتتأثر بشكل كبير في تشكيلها ومظاهرها وخصائصها للمفاهيم كالمشروع الحضري، المدينة المستدامة، العمران التشاركي، الحكم الراشد، فأصبحت حقل تجارب لهذه المفاهيم.

إن الملاحظ اليوم أن المدينة المعاصرة في العالم المتقدم تختلف عن نظيراتها في العالم النامي في الخصائص والمظاهر والتحديات والمشاكل.

الا أنه هناك مظاهر مشتركة تتميز بها بغض النظر عن مكان وجودها أبرزها:

-التمدد الحضري وانتشار الضواحي بشكل كبير وبمختلف أنواعها.

-التضخم الأفقي والعمودي.

-هناك مشاكل مشتركة عديدة: التلوث. الازدحام...

الجدول 01: خصائص المدينة المعاصرة في العالمين النامي والمتقدم

المدينة	مدن العالم المتقدم	مدن العالم النامي
البنية العمرانية	التنظيم الدقيق	تتسم بالفوضى والتناقضات
التوسع	مخطط ومنظم ومقنن	عشوائي وتأخر في

العمراني		تقنين التعمير
المشاكل	تختلف من مدينة لأخرى مثلا: لندن: التلوث الجوي نيويورك: الاختلافات العرقية	– الفقر – الجريمة – التلوث بأنواعها – أزمة السكن (مدن الصفيح)
الرهانات	البحث عن المدينة المثالية (المستدامة)	توفير الاحتياجات الأساسية للسكان

الشكل 02: الشكل العام للمدينة المعاصرة

www.wikipédia.org

المصدر: بالتصرف

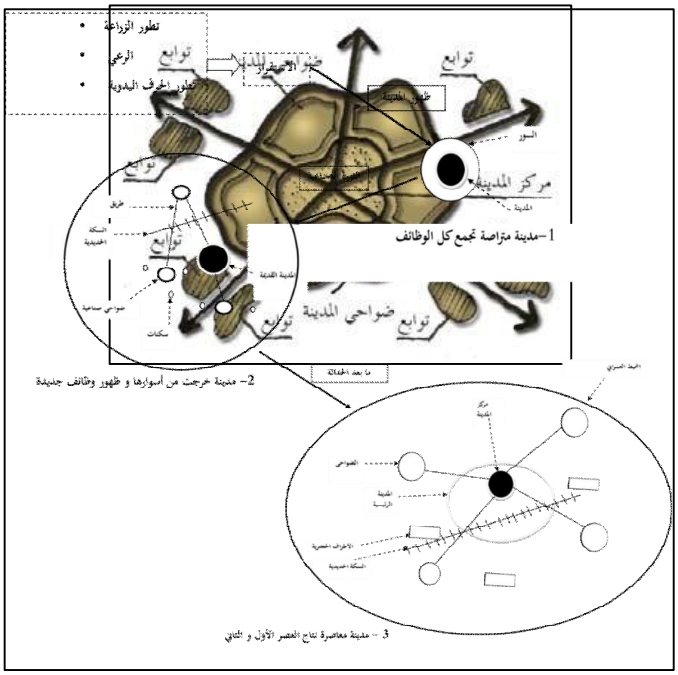

الشكل 03: التحولات التاريخية التي عرفتها المدين

المصدر: بالتصرف

خاتمة:

تعتبر المدينة ظاهرة متغيرة ومتطورة يتوقف شكلها وطبيعتها على الزمان والمكان والحضارة التي تنتمي اليها، تتشكل من نسيج حضري تمارس وظائفها في إطار خطتها التي نمت مع الزمن وسط محيطها الذي تنتمي اليه لتحقيق المتطلبات الانسانية، ولكي لتستمر وتحافظ على وظائفها وأنشطتها وتواكب المتغيرات التي تحصل كل يوم، بل كل ساعة لابد من تحولات تمس الجانب الفيزيائي من جهة والجانب الوظيفي من جهة. هذا لملائمة عناصرها العمرانية للتطور الحاصل.

الهوامش:

(1)**Christian de Portzamparc:** *Paris _ rue nationale (remodeler par densification légère) in Projet urbain en France*، Ed le moniteur Paris(2002).

(2) **Boudjabi Naouel Hannane** : *Les stratégies de la recontactions de la ville sur la ville, analyse d'un cas d'étude : Constantine*, mémoire pour obtention du Diplôme de Magister, option urbanisme université de Constantine 2005.

قائمة المراجع:

*كايد عثمان أو صبحة: جغرافيا المدن، دار وائل للنشر ط2 عمان الأردن (2007)

*بن يحي رابح: أثر النمو الحضري على المحيط العمراني دراسة حالة مدينة باتنة من أجل مدينة مستدامة. مذكرة لنيل شهادة الماجستير شعبة التعمير جامعة قسنطينة (2004 – 2005)

***www.uotechnology.edu.iq**.
www.uotechnology.edu.iq/...architecture/.../The%20T
***Dictionnaire de LAROUSSE (2008).**
***Bénévolo L** : *L'histoire de la ville*. Parenthèse. Marseille (1994)
***Boucheriet Sihem** : *L'utilisation du Projet Urbain dans la requalification des grands ensembles (un passage d'une gestion traditionnelle vers une gestion stratégique*).Mémoire pour obtention du diplôme de Magister : Option Urbanisme, Université de Constantine
***Antoniades, Anthony c** : *Poetic of architecture, théorie of design*, Van Nostrand Reinhold, New York (1990).
***Coliquhoun Alan:** *Rational Architecture*، Architectural Design (1975).
***Aldo Rossi**: *The Architecture of The city*، The MIT Press Cambridge. Massachusetts and London(1982).

***Hillien Bill**: *Spaceis the machine a configuration Theory of Architecture*، Cambridge University press (1996)

***www.academie-en-ligne.fr**

***deplibrary.iugaza.edu.ps/Courses/452/City_Planning_History.**

*** www.grenoble.archi.fr**
www.wikipédia.org